

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراس نزيل مرسيلا
(تابع لما قبل)

المطلب الثاني في المربين

فصل

في الابوين

كل من طالع ما وصل اليه من كتب التعليم العربية جازله ان يجزم
بان مصنفها كانوا عزاباً وانهم انما صنفوها لتعليم عزابٍ مثلهم لانه لا يكاد
يرى فيها شيئاً من امر تعليم الآباء والأمهات فن تربية الاولاد مع ان هذا
الفن من اهم ما يجب عليهم تعليمه وتعلمه . ونحن اذا تأملنا في ما قيل لنا عن
سعة معارف الاقدمين من مصنفى العرب وانهم لم يتركوا علماً ولا فناً معروفاً
في ايامهم الا صنفوا فيه مصنفات عديدة وجدنا اغناهم هذا الفن عجيباً
واعجب منه ان نرى الناس في ايامنا هذه مع شدة انصبابهم وهم
شبان على تعلم لغات الافرنج وتهافتهم على قراءة ما فيها من القصص الملقنة
وتعريب اكثرها لا يظالمون ولا يربون شيئاً يفيدهم اذا صاروا آباء وهذا مع
ان حياة الاولاد الذين عاينهم ان يولدوا لهم او موتهم ورشادهم او غيهم كل
ذلك موقوف على كيفية تربيتهم

فلو ان احداً من الناس اقدم مثلاً على تعايطي التجارة وهو لا يدري
من علم الحساب ومسك الدفاتر شيئاً لاستحمتاه وترقبنا ان تكون عاقبة تجارته
وبالاً عليه . ولو رأينا جارنا الحجام قد نصب نفسه طبيباً او جراحاً من قبل ان
يتعلم الطب او التشریح تعجبنا من جرأته ورئينا لحال المرضى الذين يعمل فيهم

مباضة. لكننا ان رأينا ابا ينصب نفسه لتربية اولاده ويسن سننا ويشترع شرائع تجري احكامها على ابدانهم واذهانهم واخلاقهم وهو لا يدري شيئا من امر قوانين الصحة وتخرج العقل وتقوم السيرة لم تتجب من تهوره ولا رثينا لحال اولاده المساكين الذين اقدم على تربيتهم وهو على هذه الحال

السنا نرى كل يوم ان عدداً وافراً من الاولاد يموتون بسبب جهل والديهم بأبسط قوانين الصحة وان الذين ينجون من الموت فانما يعيشون مساقم ضعفاء البنية عاجزين عن احتمال أيسر المشاق محرومين التمتع بملئ الهناء قاصرين عن ادراك كثير من الاوطار والاماني التي يدركها اترابهم وكانوا جديريين بادراكها كثير لو لا ما فاتهم من قوتهم وصحة ابدانهم

وان رأى الابوان ان ولدهما قصيح او ممرض قالوا هذا رذيلة ابائنا به ونسباه الى سوء بختها وكان الوجه ان يندباه الى سوء تديرهما لانه ما من معلول طبيعي الا وله علة طبيعية وعلة سقم ولدهما في اغلب الامر جهلها بتربيتها. ولو قال لها الطبيب ان وجدهما قد هلك لعدم معرفتهما بمداواة صحته فاية تعزية لها في ان الاب منها قد قرأ مثلاً كتاب الاغاني من الدقة الى الدقة وفي ان الامم منها قد تقرنت على جهل منها بالفرنسوية الحقيقية

نعم ان بعض امراض الاولاد موروثة كبعض مناقبهم وشوائبهم فلا يمكن شفاؤها بمجرد المداواة والتمريض الا ان اكثرها مسبب عن جهل ابوي الولد بتربية بدنه فيها لهذه العلة مطالبان بالتباعدة لانهما لما اقترنا بمقد الزواج تعاهدا بالتفمين حتى لا يقول بالتصریح ان يحسنا القيام على تربية من عساه ان يولد لهما من الاولاد لكنهما قاعدا او كسلا او عجزا عن تعلم ما من شأنه ان يمكنهما من الوفاء بما ضمنا. فجهلها بأبسط قوانين التربية واصولها ذنب لا يغتفر

اذ عنه تشأ أكثر او امرها ونواهيها وسفنها وشرائها السخيفة التي تهدم يوماً
فيوماً وساعةً فساعةً بنية اولادها بل اولاد اولادها ايضاً

هذا من قيل تربية البدن واما تربية الذهن اية اعانة الطبيعة على
شمخه وارهاقه فانت خير بان ذلك لا يكون كيفما جرى واتفق بل يقتضى
نواميس طبيعة لا ينبغي ان يجهل الابوان مبادئها على الاقل لان كل والد يجهلها
لا يصلح لاعانة الطبيعة على اتمام فعلها بل كثيراً ما يعاندها . وسيجي بعد هذا ان
الولد يخرج ذهنه اول ما يخرج بما يبعه شيئاً فشيئاً من تلقاء نفسه وينبه له
فطته عنقاً من الخواطر البسيطة والمعاني المفردة حتى اذا اجتمع له طائفة متجانسة
منها في شيء بينه تدرع بها الى معرفة ذلك الشيء بمقدار ما يستطيع . فمن
واجبات ابويه اذا ان يسهلا لذهنه تحصيل تلك الخواطر والمعاني وذلك بان
يبدأ له يوماً فيوماً من الاشياء والامور التي تقع تحت حواسه ما تنبه له فطته
وفهم بعض امره بسهولة حتى اذا ادرك شيئاً من كنهه بالخبرة والممارسة والملابسة
بنفسه انتقش معناه في لوح ذهنه . فان كان الابوان نفسيهما يجهلان كيف تولد
المعاني المفردة في ذهن ولدهما وكيف تخطر الخواطر البسيطة في جنانه اول ما
تخطر لم يصلحا لاعانة الطبيعة على تنوير بصيرته

اما جل الابوين بما يتعلق بتقويم سيرة الولد وتهذيب اخلاقه فلا يتقص
عن جهلها بما يتعلق بتربية بدنه وابارة ذهنه حتى لا يقول انه يزيد عليه . انظر
الى هذين الوالدين الحديثي السن فان الاب منهما كان قبل اقترانه بالام
يتعلم من قواعد العلوم الفلسفية ما لا يكاد يفهمه او ما لا يجديده فمما كبراً ان فهمه
لكنه لم يتعلم شيئاً مما عساه اذا تزوج وولد له ولد ان يفقه على ما يجب
عليه فله في تقويم سيرته وتهذيب اخلاقه . ثم لما خرج من المدرسة قضى

المدة التي مرت بين خروجه منها وزواجه في اللهو والتردد على الملاعب
 واهمل كل شيء يقفه على واجبات الآبوة . وكذلك الأم منها فانها كانت قبل
 زواجها تتعلم التطريز ولغات الاعاجم ثم قضت المدة التي مضت بين خروجها
 من المدرسة وزواجها في زيارة اترابها او العزف على البيانو او تطريز ما لا حاجة
 بها اليه او قراءة القصص الملققة بلغات الاقربج بحيث لا تنادر منها سوى
 القصص التي موضوعها التربية لكنها لم تلتفت اقل التفات الى واجبات الامومة
 التي هي صائرة اليها ولم تنهي لذلك نفسها ولم يهيئ لها احد فلما اقترنت بعملها
 وورزقها الله اولادًا وشعرا بما أُلقي على كاهلها من عبء تربيتهن
 عيًّا بأمرهم كما عيَّت ببيضتها النعام

فخارا في ذلك وطاش لهما منه لقلة استعدادهما له وأقبلتا يتعرضان لامور
 لا يليق ان يتعرض لها سوى الماهر الخبير وبأمران وينبيان بما ليس من فنيهما
 حتى يكسبا الولد بذلك من العرام والشكاسة ما لا يلبث آخر الامر ان
 يحطلها مثله في التبرم وسوء الخلق الى حد يذهب بما كان لهما في قلب الولد
 من المحبة . ثم انهما كثيرا ما يجرتانه على افعال يزينها لهما الهوى او الجهل حتى
 يزعم انهما حسنة من غير ان يتنبا افسهما بالبحث عن الاسباب التي حدثتهما
 الى هذا الزعم وانما يكفيهما ان يكون الفعل مطابقا في الظاهر لما يعتقدان انه
 حسن سواء كان في الواقع كذلك ام لم يكن . وهكذا يولدان في قلب ولدهما
 الرياء او الخسة او الأثرة مكان الخلوص والاقعة وظلف النفس . وربما امرأه
 بالصدق في اقواله ثم يمدانه ولا ينجزان او يوعدانه ولا يفعلان فيجرتانه بذلك
 على الاخلاف والنكث والكذب ويصيران له فيها قدوة . وبأمرانه بطول الاناة
 والحلم والتألك ثم يسخطان عليه لاجل هاتين وترهات لهما مما لا يستوجب

السخط فيدربانه بذلك على الفضب وشراسة الاخلاق
ولو لأن في جيلة الاولاد ما يردم في الغالب الى النشؤ على ما فيهم
من السجايا الحسنة الموروثة لكانت تربية والديهم ايام آفة على اخلاقهم واي آفة
ستاتي البقية

الزجاج

الزجاج جوهر صلب شفاف قصم اي سهل الانكسار يرن اذا نقر عليه
ويصهر بالحرارة القوية القطعة منه زجاجة وقد تطلق على الكأس قال عنترة
ولقد شربت من المدامة بعد ما ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم
وفي سورة النور « مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة » اية
في قنديل من الزجاج . ويقال لصانعه زجاج وهي صيغة يقصد بها النسبة
لا المبالغة بمنزلة المطار والخزاف ونحوهما . والزجاج مركب من الرمل والقلي
والكلس او المرنك (وهو أكسيد الرصاص) فاذا مزجت هذه المواد وصهرت
تكونت كتلة ليس لها شكل خصوصي من خصائصها ان لا تذوب بالماء ولا
بالحوامض الا الحامض الفلور هيدريك . ومنافع الزجاج وخواصه تختلف
باختلاف المواد التي يصنع منها فزجاج القوارير يصنع من الرمل الحديدي والرماد
او من القلي والصلصال وكسر القوارير نفسها . وزجاج النوافذ يصنع من الرمل

(١) هو غاز خائق قوى الرائحة سام جداً يستعمل في الصناعة لحفر الزجاج
وذلك بان تكسى الزجاج التي يراد حفرها شمعاً ثم ينقش عليها الرسم المطلوب
وتعرض لبخار هذا الحامض فيظهر الرسم . وهوائها يحفظ في اية من رصاص
او كوتابرخا